

تاريخ القبول: 2020/09/02

تاريخ الإرسال: 2020/01/19

تاريخ النشر: 2021/01/30

نظريات التنمية لدى المفكرين العرب:

مالك بن نبي و سمير أمين نموذجاً

Development Theories of Arab Intellectuals: Malik Bin Nabi and Samir Amin as a Model

د. عائشة بدر،

جامعة قاصدي مرباح ورقلة - الجزائر aicha_sp@hotmail.com

المخلص:

تتناول الدراسة إحدى القضايا الأساسية للنهوض بالمجتمعات العربية، والخروج من دائرة التخلف الناجمة عن الظاهرة الاستعمارية التي عمرت طويلاً، ومن أجل معالجة سلبيات هذه الظاهرة برزت العديد من المقاربات و النظريات التي تحاول تحسين ظروف معيشة الساكنة، و الدراسة تتناول بعض هذه الأفكار من خلال التعرف على مساهمات كل من مالك بن نبي وسمير أمين، الذين يمثلان تيارين مختلفين للفكر التنموي العربي.

الكلمات المفتاحية: التنمية - مالك بن نبي - سمير أمين - التخلف - الفكر العربي.

Abstract:

The study addresses one of the basic issues for the advancement of Arab societies, and out of the circle of underdevelopment caused by the long-lived colonial phenomenon, and in order to address the negatives of this phenomenon emerged many approaches and theories that try to improve the living conditions of the population, and study some of these ideas through the identification The contributions of

Malik bin Nabi and Samir Amin, representing two different streams of Arab development thought.

Key words: Development - Malik bin Nabi - Samir Amin - underdevelopment - Arab thought.

المؤلف المرسل: عائشة يدر ، aicha_sp@hotmail.com

مقدمة:

تأثر الفكر التنموي العربي بالظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية السائدة، وفي هذا الإطار يبرز كل من مالك بن نبي وسمير أمين كأبرز المفكرين العرب الذين تناولوا قضايا التنمية والسبل الأنجع للخروج من ظاهرة التخلف.

الإشكالية: من هذا المنطلق نطرح الإشكالية التالية: ماهي المنابع الأساسية التي بني عليها كل من مالك بن نبي و سمير أمين أفكارهما التنموية ؟ وما هي أبرز مساهماتهما في هذا المجال؟

الفرضيات: انطلق كل من مالك بن نبي وسمير من واقعيهما المعاش.

وجدت مساهمات كل من مالك بن نبي و سمير أمين مكانة في بعض الدول.

تأثر فكري مالك بن نبي و سمير أمين بالحضارة الغربية.

أهداف الدراسة: التعرف على إسهامات كل من مالك بن نبي وسمير أمين في الفكر التنموي العربي، و الوقع الذي أحدثته أفكارهما .

منهجية الدراسة: سأستعين في هذه الدراسة بالعديد من المناهج و المقاربات النظرية منها: المنهج الوصفي التحليلي، المنهج عبر الحضاري، المنهج المقارن، وبعض المناهج الأخرى التي هي ضرورية لفهم الفكر التنموي العربي .

01- مالك بن نبي والتنمية:

لقد أمعن ابن نبي النظر إلى مشكلات التخلف المزمنة ساعياً إلى تجاوز الظواهر السطحية، متغلغلاً في الأعماق، باحثاً القوانين الكفيلة بتحول الشعوب من حالة العجز إلى حالة القدرة ومن مشكلة الاستعمار إلى مرض القابلية للاستعمار، ومن حالة تكديس الأشياء إلى حالة البناء، ومن المطالبة بالحقوق إلى القيام بالواجبات أولاً، والانتقال من عالم الأشياء والأشخاص إلى عالم الأفكار التي بها نبدأ بحل مشكلة التخلف، مع الاعتقاد أن مفاتيح حل المشكلات هي في الذات لا عند الآخر (2019 www.arabiancreativity.com).⁽²⁾

واعتمد في دراسته لهذه المسائل على منهج ارتكز على ثلاث زوايا هي: منهج تحليلي تركيبي في بحث الظواهر ومنها البشرية، منهج وظيفي: وظيفية الحضارة في المجتمع البشري، متى يكون متحضراً ومتى يكون متخلفاً؟ ... وأخيراً منهج تاريخي من حيث نشأة الحضارة وتطورها وموتها وهو ما طبّقه المفكر على الحضارة الإسلامية إذ أن كل مجتمع بشري له ثلاثة أحوال: ما قبل الحضارة، في الحضارة، ما بعد الحضارة؛ وهو ما سأوضحه فيما يلي:

1-1 مفهوم المدخل الحضاري البديل للتنمية عند مالك بن نبي:

إن البحث في إسهامات ابن نبي في موضوع التنمية تجعلنا نلاحظ جملة من التحديات للتنمية باعتبارها مشكلة من مشاكل المجتمع⁽³⁾، الذي يريد أن يخط طريقه نحو الحضارة حيث يؤكد بن نبي على أن الهدف من كل تغيير اجتماعي هو الوصول إلى الحضارة والتقدم نحو شكل من أشكال الحياة الراقية، وهذا ما يطلق عليه اسم "الحضارة"، وما دامت التنمية هي عملية تغيير اجتماعي يتصف بالإرادة والهدفية، فإن كل جهود التغيير يجب أن تتكثف لتقضي في الأخير إلى الهدف الأساس وهو الحضارة (الطاهر سعود -2006 ص203).

يقول مالك بن نبي: "أنا حينما أحاول تحديد مجتمع أفضل فكأنني أحاول تحديد أسلوب الحضارة، إذ أنني حينما أحقق الحضارة، أحقق جميع شروط الحياة، و الأسباب التي تأتي بمتوسط الدخل المرتفع، بمعنى أنني أحقق الخريطة الاقتصادية، ونتائجها الاجتماعية والثقافية أيضا" (مالك بن نبي 2013 ص163).⁽⁴⁾

ويركز بن نبي في حديثه عن: "بناء الحضارة " والذي يفرق بينه وبين "تكديس الحضارة"، ويرى أن هناك فروقا كبيرة بين البناء الذي يحقق النتائج عاجلا والتكديس الذي ربما يأتي بنتيجة، والتكديس عنده ظاهرة اجتماعية إذ يحصل أن تكس المجتمعات في مرحلة من مراحلها في عصور انحطاطها، لأنها في هذه المرحلة لا تفكر ولا تنظم أعمالها وفق أفكار وقوانين، وإنما تكس أشياء، وهذا يقتضي أن نفكر في المجتمع تفكير بناء وليس تفكير تكديس، ويفض ابن نبي فيقول: "إن علينا أن ندرك بأن تكديس منتجات الحضارة الغربية لا يأتي بالحضارة، والاستحالة هنا اقتصادية واجتماعية، أما الاستحالة الاقتصادية فنحن لو أردنا أن نكس عناصر حضارة لنكون منها حضارة لأصبحنا أمام أشياء للحضارة، وليس الحضارة، ثم إن هناك مغالطة منطقية، فالحضارة هي التي تكوّن منتجاتها وليس المنتجات هي التي تكوّن الحضارة، إذ فمن البديهي أن الأسباب هي التي تكون النتائج وليس العكس، فالغلط منطقي، ثم هو تاريخي لأننا لو حاولنا هذه المحاولة ألف سنة ونحن نكس لن نخرج بشيء⁽⁵⁾. ويضرب ابن نبي مثلا ليوضح أثر التكديس في المجتمع فيفترض أننا كدسنا عناصر البناء لعمارة معينة، فكسنا من الحجر والاسمنت والحديد والخشب مئات الأطنان، فإننا لا نستطيع أن نقيم من هذا التكديس البناء، ولو بعد مئات السنين، بينما لو شرعنا في البناء فعلا لبنينا على الأقل شقة في كل عام) (مالك بن نبي مرجع سابق 169).

وأساس التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي هو الدين، إذ كان يرى أن الحضارات بصفتها هدفاً فهي تعتمد على الدين بوصفه عاملاً أساسياً في تركيبها وإقامتها، وكان ينتقد المذاهب المادية التي تجعل الدين عارضاً ، وحدد بن نبي العلاقة بين الدين وظاهر المجتمع، ووضح أن هذه العلاقة تتحدد بفرضية وتفسيرات؛ الفرضية هي (الفكرة الدينية) والتفسيرات هي الإلمام بظاهرة التغيير الاجتماعي والوصول إلى الحضارة في مجتمع من المجتمعات في مرحلة من مراحل التاريخ البشري، وأكد على أنّ الوظيفة الأساسية للدين بمفهومه العام هي في إحداث كافة التغييرات الاجتماعية التحويلية الهامة في (الإنسان، والزمن، والتراب) وما يتبعها من معطيات نفسية اجتماعية تحدث من خلالها التغييرات لتحقيق الغاية النهائية لحركة المجتمع، وهي الحضارة.

كما يؤكد بن نبي على أن (الفكرة الدينية) هي المحرك الأساس للمجتمع، وآلية إحداثها للتغيير تتم من خلال تكوين وإنشاء العلاقات الاجتماعية التي تربط بين (عالم الأشخاص، وعالم الأفكار، وعالم الأشياء، أي أن الفكرة الدينية توجد الرابطة التي تجعل عالم الأشخاص يتحرك وفق المحددات التي رسمها عالم الأفكار بوسائل من عالم الأشياء، والعالم الأول هم الأفراد المادة الأولية للنشاط الاجتماعي. والعالم الثاني يقصد به بن نبي الطاقة المحركة للعالم؛ والمحددة لوجهته التاريخية.

والعالم الثالث يقصد به مجموع الوسائل والإمكانات التي يمكن أن يستخدمها العالم الأول أثناء حركته الاجتماعية وسيره التاريخي، وهكذا نجد أن إحداث التغيير الاجتماعي يتطلب توفير شروط معينة تمس (الإنسان، والتراب، والزمن، والمجتمع، وثقافة هذا المجتمع)، وهي نطاق (التغيير الاجتماعي)

1-2 إستراتيجية التنمية عند مالك بن نبي:

شكل استقراء الواقع التاريخي والحضاري الأرضية الأساسية التي استقى منها ابن نبي الكثير من أطروحاته، كما كان تتبعه لمسيرة النهضة وعملية البناء التي عرفت شعوب ومجتمعات حديثة ومعاصرة منطلقا لبلورة جملة من الآراء النقدية، أسس من خلالها لنظرية جديدة في التنمية تدخل في إطار ما بات يعرف " بالمدخل البيئي الحضاري"، الذي يعد توجهها جديدا وبديلا يختلف عن مداخل ونظريات التنمية الغربية، وأكثر ملائمة لواقع الدول العربية.

لقد حاول بن نبي حصر أسباب إخفاق مشاريع البناء والتنمية في العديد من الدول في ثلاثة أسباب رئيسية هي (الطاهر سعود، مرجع سابق ص 205) (6):

- عدم تشخيص غاية النهضة بصورة صحيحة.
 - عدم تشخيص المشكلات الاجتماعية تشخيصا صحيحا.
 - عدم تحديد الوسائل تحديدا يناسب الغاية والإمكانات.
- فبدل أن تتجه الجهود وتتكفل الوسائل والإمكانات نحو بناء حضارة، اتجهت نحو تكديس منتجاتها لتتحل المشكلة من تلقاء نفسها بقوة الأشياء لا بحكم الفكر، وبالتالي لا بد من الوعي بشروط بناء الحضارة وكيفية تركيبها، وهذا يستلزم حل المشكلات الثلاث التي تشكل عناصر الحضارة من أساسها (مالك بن نبي، ص 201) (7):

- مشكلة الإنسان وتحديد شروط انسجامه مع سير التاريخ.
 - مشكلة التراب وشروط استغلاله في العملية الاجتماعية.
 - مشكلة الوقت وبت أهميته في روح المجتمع ونفسية الفرد.
- ويرى ابن نبي أنه لا بد من الأخذ والاعتماد على هذا الرصيد في أي خطة تنموية، لأن مجتمعا متخلف لا بد أن يستثمر كل ما فيه من طاقات، ويستثمر عقوله وسواعده ودقائقه كافة، وكل شبر من ترابه، فتلك هي العجلة التي يجب دفعها

لإنشاء حركة اجتماعية واستمرار تلك الحركة⁽⁸⁾، وفي ما يلي دور كل من هذه العوامل (الطاهر سعود، ص 206):

أ - الإنسان: وقد أولاه ابن نبي أهمية بالغة انطلاقاً من قيمته ودوره في التاريخ، واعتباره الأساس الذي من خلاله ترتقي الحضارة ومراحلها الثلاث، فيكون في البداية ساكناً خامداً ثم عنصراً حضارياً فعالاً و جريئاً ... محروماً من كل قوة دافعة عندما تبلغ هذه الأخيرة وعدها المحتوم، فلو تأملنا صيرورته عبر هذه المراحل فإننا سنلاحظ أن الإنسان لم يتغير في أي صفة من صفاته الخلقية وإنما الذي تغير هو فعاليته، وعلى هذا الأساس نجده قد ميز بين قيمتين للفرد بوصفه عاملاً أولياً للحضارة، الأولى منها خام أو طبيعي، والثانية اجتماعي.

أو بصياغة أخرى هناك معادلتان تميزان حقيقته، (الطاهر سعود، ص 207)⁽⁹⁾:

*- معادلة بوصفه إنساناً أي كأننا طبيعياً كرمه الله تعالى، وهذه المعادلة لا تمسها يد التاريخ بتغيير، ويتساوى فيها الأفراد جميعاً.

*- ومعادلة بوصفه كأننا اجتماعياً، وهي التي يكتسبها من محيطه الاجتماعي والثقافي، وتكون فيه ميزة الفعالية، وهي عرضة لطوارئ التاريخ ونوائب الزمن، وهو الجانب الذي حظي باهتمام كبير من طرف ابن نبي باعتباره الجانب الذي يتفاعل من خلاله مع معطيات التاريخ فيوجهها أو تؤثر فيه، وهو البعد الذي يركز عليه، لأنه على أساس منه يمكن تعديل وجهة المجتمع، فالقضية كما يؤكد ابن نبي "ليست قضية أدوات ولا إمكانات إنما القضية هي في أنفسنا إذ علينا أن ندرس أولاً الجهاز الاجتماعي الأول وهو الإنسان ... فإن تحرك الإنسان تحرك المجتمع والتاريخ."⁽¹⁰⁾

لقد تناول ابن نبي مشكلة الإنسان من زاوية الفعالية، ذلك أن الإنسان هو صانع التقدم عندما يستغل ما بين يديه من إمكانات بعد أن تشتتته الفكرة الدينية، ويتفاعل مع مقتضياتها فتحول خموده وسكونه إلى حركة بنائية فاعلة بما تقدمه له

من مبررات ومحفزات دافعة، وهو مصدر التخلف، حين تفقد الفكرة سلطانها عليه فتصير هذه العناصر بين يديه خامدة، لذلك فالمجتمعات في حاجة - عندما تريد بناء أو إعادة بناء نفسها - إلى الإنسان الجديد الذي يعود إلى التاريخ مستغلا كل طاقاته وإمكاناته مهما كانت بسيطة، ولكي نعود من جديد إلى ساحة الفعل الحضاري لا بد من أن نعيد صياغة هذا الإنسان وتوجيهه عبر : - توجيه ثقافته - توجيه العمل - توجيه رأس المال، وهي الأمور التي يمكن للفرد أن يؤثر بها في واقعه (بفكره وعمله وماله). (محمد أبو مازن، 2010 ص104)⁽¹¹⁾

ب - التراب: يعتبر التراب أحد العناصر الحضارية الهامة في معادلة مالك بن نبي، وقد عالجه كمشكلة من جانبين:

* من خلال صورة الملكية أي من حيث تشريع الملكية في المجتمع، الذي يحقق الضمانات الاجتماعية

* مظهر فني يقصد به جانب السيطرة الفنية والاستخدام الفني الذي تنتجه العلوم الخاصة.

فابن نبي عندما يتطرق إلى عنصر التراب يؤكد على دور الإنسان في استغلاله وتحويله، لأن الأرض هي مسرح التحضر وعليها يكون الاستقرار، ومن مرافقها المختلفة يرتفق لاستيفاء حاجاته وتنمية أساليب حياته، ويشير في هذا الصدد إلى مسألة مهمة تتعلق بنزعة "الترحل" وهي مشكلة لا يمكن أن تحل من خلال استقرار الإنسان لأن ذلك شرطا لاستثمار هذا المكان الحضاري الهام، وقد دلل ابن نبي على هذا عندما أشار إلى النواة الأولى للحضارة الأوروبية التي ارتبطت منذ بدايتها بالأرض التي تفاعل معها الإنسان الأوروبي بجهده، ففرضت عليه نزعة الاستقرار نمطا خاصا من الحياة الاجتماعية، طور معه مفهوم الملكية فأصبح يعيش في مجال حيوي مكيف طبقا لضروب نشاط موسمية منتظمة، فتكون لديه مفهوم

العمل اليومي، وفكرة الزمن الاجتماعية، ونتج عن تطور هذه الحياة الروح القروية ... وتطورت حياته شيئاً فشيئاً لتقوده إلى ما يسمى اليوم الحضارة الصناعية.

ج_ الوقت: في العصر الذي يعرف بعصر السرعة لا بد أن ترجع للوقت قيمته في البلاد التي تريد الخروج من التخلف، وقد أشار بن نبي في كثير من كتاباته إلى أهمية هذا العنصر عندما تحدث عن بعض التجارب التنموية التي عرفها العالم الحديث، كالتجربة السوفيتية التي اختصرت الزمن ونقلت الإنسان الروسي من زمن الموجيك (الفلاحين الفقراء) إلى زمن الذرة و الفضاء، أو التجربة الصينية و اليابانية التي برهنت على أن الواقع الاجتماعي قابل للتسريع، حيث إن الإنسان يمكن أن يتدخل في نطاقه ووفق قوانينه ليغير مساره ويختصر طريق الحضارة .

وعوامل التعجيل هذه ممكنة في النطاق الإنساني، وعلى البلاد المختلفة أن تأخذ هذا المعطى المهم في اعتباراتها إذ لا يكفي أن يقارن البلد المتخلف وضعيته الحالية بوضعيته قبل خمسين سنة مثلاً فيدرك أنه قطع أشواطاً هامة نحو التقدم، بل عليه أولاً أن يقارن وضعيته بالوضعية العامة التي تنظم العالم اليوم، فمن هذا السياق يدعو ابن نبي إلى ضرورة إدخال مفهوم الزمن وقيمه الاجتماعية في وعي الأفراد من خلال عملية التربية و التنشئة وعندما يتحدد معنى الزمن في نفس الإنسان والمجتمع يتحدد معنى التأثير والإنتاج، ويصبح للوقت قيمته و دور في التنمية.

ويختم مالك بن نبي نظريته التنموية بالحديث عن أولويات التنمية، إذ يدعو إلى ما أسماه " بالتصفية الفكرية" أي عدم الاعتماد فقط على أفكار ونظريات غيرنا من أمثال آدم سميث و كارل ماركس وغيرهما في البحث عن حلول لمشاكلنا، بل ينبغي أن نكسر هذا الحاجز النفسي والفكري، وأن نثق بما عندنا من موروث علمي وفكري، وقد قدم ابن نبي في هذا الإطار أفكاراً يمكن أن نصنفها إلى محورين (مالك بن نبي، 1978 ص) (12):

* أولويات التنمية على الصعيد الداخلي: أي خلق شروط الإقلاع الاقتصادي ودفع المجتمع نحو الحركة مع الأخذ بعين الاعتبار لوسائلنا وإمكاناتنا الذاتية بحيث تكون هي الأساس في رسم الخطط التنموية.

* أولويات التنمية على الصعيد الدولي (الخارجي): ويقصد بها جملة الآليات والكيفيات التي يجب تتبعها لتحقيق الإقلاع التنموي، ذلك أن هناك مشاكل وأولويات لا يمكن حلها على مستوى الدولة الواحدة بل تحتاج إلى تعاون دولي وإقليمي ينسق الجهود ويضبط الخطوات.

1-3 معالم البناء الحضاري التنموي في فكر مالك بن نبي:

- يرى ابن نبي أن المجتمعات تختلف في أسباب نشوئها، وقد صنفها إلى نوعين : مجتمع بدائي سمته الركود قبل أن يحركه الاستعمار، ومجتمع تاريخي يعمل على التطور المستمر وهو بدوره نوعان: نموذج جغرافي ظهر كاستجابة شبه آلية للتغير الطبيعي، والنموذج الثاني هو النموذج الفكري الأيديولوجي الذي يتأسس تلبية لنداء فكرة حركته، وإلى هذا النموذج ينتمي المجتمع الإسلامي والأوروبي الأصلي والصيني والسوفيتي المعاصران، وهو النموذج الذي يعتبره ابن نبي صالحا لبناء حضارة، وبالتالي فهو يضع من شأن الاستجابات الآلية للإنسان اتجاه معالمه المادية، مقابل إكبار لقيمة تأثير الفكرة في النفس الإنسانية وهو ما سوف يكون سببا في حمله إياها بوعي من أجل دخول مرحلة الحضارة (هدى بن زقوطة، 2010 ص10) (13).

- الرأسمال الاجتماعي للأمة هو الإنسان والتراب والوقت والفكرة المركبة، في هذه العوامل ينحصر رأسمال الأمة الاجتماعي الذي يمدها في خطواتها الأولى في التاريخ.

- الدين ظاهرة كونية تحكم فكر الإنسان وحضارته كما تحكم الجاذبية المادة وتتحكم في تطورها، ولذلك فإن أي تهمة له في الحياة يلحق أضرارا عميقة بالحضارة (الطيب برغوث 2012، ص37)⁽¹⁴⁾.

- والبناء الحضاري نتاج تفاعل تكاملي لعلم الأفكار وعالم الأشخاص وعالم العلاقات الاجتماعية.

- إن أزمة العالم الإسلامي منذ زمن طويل لم تكن أزمة في الوسائل والإمكانيات، وإنما في الأفكار، وأدواتنا الفائلة تكمن في عالم أفكارنا.

- الحضارة هي التي تلد منتجاتها، ولا يمكن بناء حضارة بشراء منتجات حضارية أخرى، لأن هناك روحا حضارية ذاتية لا تأتي مع هذه المشتريات، بل تأتي معها روح حضارية أخرى لا تتسجم مع روح الحضارة التي نتوق إلى بنائها. كما أنها - أي الحضارة- حركة بناء تراكمي مستمر متكامل وليست عملا تكديسيا ظرفيا مجزءا.

- إن أي تفكير في مشكلة الإنسان هو في الأساس تفكير في مشكلة الحضارة، فالحضارة هي القطب الذي تتجه نحوه المسيرة البشرية عبر التاريخ، وأي تفكير في مشكلة الحضارة هو في الأساس تفكير في مشكلة الثقافة، فالثقافة هي روح الحضارة، وأي تفكير في مشكلة الثقافة هو في الأساس تفكير في مشكلة التربية، فالتربية هي المصنع الاجتماعي للثقافة، وأي تفكير في مشكلة التربية هو في الأساس تفكير في مشكلة المنهج، فالمنهج هو الذي يتيح القدرة على حسن الفهم، وفعالية تعبئة الطاقات، وكفاءة الأداء (الطيب برغوث ص39).⁽¹⁵⁾

- إن الحياة يحكمها منطق التغيير المستمر، والإنسان إما أن يغير نفسه ووضعه، وإما أن يخضع للتغيير من غيره، وليس أمامه خيار غير ذلك، ولذلك فالشعار دائما هو "غير نفسك تغير التاريخ"، فالتغيير الذي لا ينفذ إلى تغيير الأفكار والنفوس والسلوك، لا قيمة له في موازين التغيير.

- الحضارة لا تصنع بالاندفاع في دروب سبق السير فيها، بل بفتح دروب جديدة، تعطي للأمة وزنا في العالم والتاريخ، وحركة البناء الحضاري لا يمكنها أن تتجح إلا إذا كان قوامها جميعا في حركة تكاملية، وهذه الحركة في اتجاه تصاعدي، ومن ثوابت التاريخ أن نهضة أي مجتمع لا تتم إلا من خلال نفس الظروف التي تم فيها ميلاده، أي وفق نفس القوانين الكلية التي تحكمت في ميلاده الأول، ويقاس نجاح أو فشل أي حركة تغييرية بقدر ما تحافظ على محتواها الفكري والروحي والثقافي والحضاري أو تضيعه في الطريق.

- إن الطريق غير المنهجي هو أطول الطرق في عملية البناء الحضاري، لأنه طريق غير مؤسس على رؤية وخطة منضبطة، وإنما على ردود أفعال ذاتية ومزاجية وظرفية. إن جهودنا التجديدية فيها حسن النية وليس فيها حتى رائحة المنهج والتجديد.

- إن سنة المداولة الحضارية هبة من الله تعطي الأمل للمستضعفين، لكن التاريخ لا يصنع بانتظار الساعات الخطيرة، والمعجزات الكبيرة، بل يبدأ من مرحلة الواجبات البسيطة الخاصة بكل يوم، وكل ساعة، وكل دقيقة.

2- المفكر المصري "سمير أمين"، ونظريته في التنمية

يعد المفكر الاقتصادي المصري سمير أمين Samir Amin (المولد سنة 1931) أحد أهم أعلام مدرسة التبعية، وأحد مؤسسي منتدى العالم الثالث، ينفرد برؤيته الماركسية لمفهوم التنمية القائم على فكرة "فك الارتباط" مع الرأسمالية العالمية (سمير أمين 1999، ص 77)⁽¹⁶⁾، والتي أوردتها في سياق تقديم أطروحته حول دور الرأسمالية العالمية ومسؤوليتها التاريخية في هندسة النزاعات الدولية وتهديد الديمقراطية وإفشال التجارب التنموية لدول العالم الثالث (سمير أمين، 2003 ص 169)⁽¹⁷⁾، ويشير سمير أمين إلى العلاقة بين الحرية السياسية والتنمية في

أطروحته للربط بين الديمقراطية والإقلاع الاقتصادي، نحو تجربة "ديمقراطية جديدة" تكون فيها التنمية والديمقراطية، وجهان لحركة واحدة نحو التغيير (سمير أمين، 2002، ص65).⁽¹⁸⁾

يرى المفكر المصري سمير أمين -بالاشتراك مع عالم الاجتماع الأمريكي إيمانويل فالرشتاين- أنّ للعولمة مسؤولية مباشرة في خلق مشكلة البطالة وتراجع فرص التشغيل، هذه المسألة حسب أمين وفالرشتاين ظهرت نتيجة الثورة البيوتقنية التي تحدّث عنها ألفين توفلر وفرانسيس فوكوياما بإشادة كبيرة، بوصفها من القيم الغربية للأمركة المفروضة تحت عنوان الانفتاح واقتصاد السوق.

استغلت القوى الغربية المركزية للنظامين الاقتصادي والمالي العالميين انهيار النموذج الاشتراكي بالانهيار المركز النموذجي لتجربة الاتحاد السوفيتي السابق، ثم انهيار بقية الاقتصاديات الاشتراكية مثل الأحجار، ساعد ذلك الانهيار على تعرية الانهيار الرهيب والمخيف لطبقة العمال والطبقة الوسطى في الديمقراطيات الشعبية والكثير من النماذج الاشتراكية في قارة إفريقيا وأمريكا الجنوبية، مع بعض الاستثناء الآسيويّ لنماذج الاقتصاديات الصاعدة كالنمور الآسيوية مثلا.

مع ذلك، راهن سمير أمين على افتتاح عصر مختلف من الحركات الاجتماعية العالمية المناهضة للعولمة، وأضفى عليها شرعية اعتمادها كحركة شرعية من قبل الأمم المتحدة أطلق عليها منتدى العالم الثالث، وهي التي تتولى مناهضة ظاهرة الإمبريالية الاقتصادية الغربية، وتضع ضمن أجندتها مكافحة تفاقم ظاهرة البطالة وانعكاساتها الوخيمة على سيادة الدول ووحدة الشعوب.

تجربة النضال الفكريّ لسمير أمين وإيمانويل فالرشتاين استدعت اهتمام الكثيرين على صعيد تناسقها مع الحركات الاجتماعية المناهضة للعولمة، غير أنّ المفكر الاقتصاديّ المصريّ جلال أمين، الأستاذ بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، لاحظ

بكلّ وضوح، استغلال ظاهرة الامبريالية العولمية للكوكبية والعولمة، حيث لم تعد النضالات الماركسية قادرة على خوض نضال من أجل الدفاع عن الكادحين من الطبقات العمالية المصنعية أو الفلاحين، بل أصبح الصراع على الكتلة الأجير للمستهلك الذي تسرق الشركات العالمية متعددة الجنسيات فوائض قيمة ادخاراته وأجوره لصالح عصر مختلف من التنافسية، والصراع على الجودة واحتلال الأسواق. وإذا أردنا التركيز أكثر على الدول العربية عموماً، وتجربتي مصر والجزائر على وجه المقارنة، يقصد سمير أمين أنّ الانفتاح غير المدروس، وغياب الحماية السيادية، سيفاقمان مشكلة البطالة، ويستحيل أن تتفق النخب المسؤولة عن صنع القرار مع الكتل الجماهيرية إذا ما أصبح طرد العمال الحلّ النهائي والوحيد لإنقاذ الاقتصاديات الوطنية.

نتائج الدراسة:

توصلت الدراسة إلى أن مالك بن نبي ومن خلال فكره التنموي حاول إيصال فكرة أن التغيير وإحداث التنمية لا يكونان إلا بالاعتماد على المقومات الذاتية، من خلال التشخيص وتحديد الوسائل والإمكانات التي تمكن من الإقلاع بالتركيز على كل من الإنسان والوقت و عامل الاستقرار.

كما يحث بن نبي على ضرورة تفادي ظاهرة الاعتماد على الغير أو الدوران في فلك الآخر؛ وهنا يكمن الفرق بين بناء الحضارة وتكديسها.

أما سمير أمين يرى أن مفاتيح التنمية تكمن في الابتعاد عن الرأسمالية الليبرالية، ويربطها بالنموذج الماركسي، كما انه يناهض فكرة العولمة، ويدعو الى تحقيق التنمية والديمقراطية المتلازمان حسب وجهة نظره بعيداً عما أسماه بالإمبريالية العالمية، متأثراً في ذلك بالفكر الماركسي.

رغم التباين بين فكري بن نبي وسمير أمين تجاه قضايا التنمية، إلا أنهما شكلا كل من وجهة نظره لبنة لبناء مدرسة فكرية تهتم بقضايا التنمية، والملاحظ أن فكر بن نبي وجد صدق في بعض الدول التي بنت عليها قاعدتها التنموية، بينما يبقى حبيس أدراج المكتبات في الكثير من الدول العربية .

الخاتمة:

تبين من خلال الدراسة أن الفكر التنموي العربي ذو رؤية مستقبلية، ومبني على أسس واقعية قائمة على دراسة البيئة الداخلية و الثقافة المحلية ولا يهمل تحديات البيئة الخارجية، مع وجود اختلافات في المنطلقات الفكرية للمفكرين موضوع الدراسة (بن نبي و أمين)، ورغم القصور المسجل في استفادة البيئة المحلية العربية من هذه الإسهامات التي وصل الكثير منها إلى مستوى العالمية.

الهوامش:

(1) - عن موقع أراب كرياتيڤي:

≤<http://www.arabiancreativity.com/alaskri.htm>≤

(2) - عن موقع أراب كرياتيڤي:

≤<http://www.arabiancreativity.com/alaskri.htm>≤

(3) - الطاهر سعود، التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي(بيروت: دار الهادي للطباعة والتوزيع، 2006)، ص203.

(4) - مالك بن نبي، تأملات (الجزائر: دار الوعي للنشر والتوزيع، 2013)، ص163.

(5) - مالك بن نبي، مرجع سابق، ص 169.

(6) - الطاهر سعود، مرجع سابق، ص 205.

(7) - مالك بن نبي، نفس مرجع ، ص201.

(8) - الطاهر سعود، نفس مرجع ، ص206.

(9) - الطاهر سعود، مرجع سابق، ص. 207.

(10) - نفس المرجع، نفس المكان.

- (11) - محمد أبو رمان الإصلاح السياسي في الفكر الإسلامي (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث، 2010)، ص. 54.
- (12) - لتفاصيل أكثر حول هذه الأفكار أنظر: - مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، (بيروت: دار الشروق، 1978)، مالك بن نبي، فكرة كومونولث إسلامي (ترجمة الطيب شريف) (دمشق: دار الفكر، 1990).
- (13) - هدى بن زقوطة، "الدور الحضاري للمجتمعات الأسيوية المعاصرة عند مالك بن نبي"، رسالة ماجستير، جامعة محمد منتوري، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسنطينة، الموسم الجامعي (2009-2010)، ص. 10.
- (14) - الطيب برغوث، محورية البعد الثقافي في استراتيجية التجديد الحضاري عند مالك بن نبي (الجزائر: دار الشاطبية للنشر والتوزيع، 2012)، ص-ص. 37-38.
- (15) - الطيب برغوث، مرجع سابق، ص 39.
- (16) - سمير أمين، مناخ العصر.. رؤية نقدية (بيروت - القاهرة: مؤسسة الانتشار العربي، سينا للنشر، 1999)، ص 77.
- (17) - سمير أمين، ما بعد الرأسمالية المتهاكلة (ترجمة: فهيمة شرف الدين، سناء أبو شقرا) (بيروت - الجزائر: دار الفارابي، ANEP، 2003)، ص - ص 169 - 177.
- (18) - سمير أمين، الاقتصاد السياسي للتنمية في القرنين العشرين والواحد والعشرين (ترجمة: فهيمة شرف الدين) (بيروت: دار الفارابي، 2002)، ص 65.